

دراسات في مصادر تاريخ مصر في العصر العثماني

(٢)

كشف الكربة في رفع الطلبة

تأليف

محمد بن أبي السرور البكري الصديقي

تقديم وتعريف وتحقيق

الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم

مدرس التاريخ الحديث والمعاصر

كلية البنات - جامعة الأزهر

تمهيد :

يتناول مخطوطة « كشف الكربة في رفع الطلبة » ، لمحمد بن أبي السرور البكري ، قضية هامة من قضايا تاريخ مصر في العصر العثماني ، وهي قضية الصراع الذي نشب ، منذ الربع الأخير من القرن السادس عشر ، بين جند الحامية العثمانية من جانب ، والباشوات العثمانيين من جانب آخر ، وتوضح المخطوطة أسباب هذا الصراع . وتأثيره على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مصر من ناحية ، وعلى الحكم العثماني نفسه من الناحية الأخرى ، ولايضاح ذلك فإن هذا التقديم سوف يتناول العناصر التالية :

(١) ثورات جند السباهية في الفترة التي تؤرخ لها المخطوطة ، وهي الفترة الممتدة من ٢ شوال سنة ٩٩٧ هـ - ١٤ أغسطس ١٥٨٩ م وحتى

١٠ ذى القعدة سنة ١٠١٧ هـ - ١٥ فبراير ١٦٠٩ م - وأسباب هذه الثورات وموقف الباشوات منها .

(٢) التعريف بالمخطوطة ومؤلفها وموقفه من الأحداث التي سجلها كما صر لها .

(٣) خاتمة وتقويم .

* * *

أولا - ثورات جند السباهية :

بدخول مصر في حوزة السلطنة العثمانية في ٣ محرم ٩٢٣ هـ - ٢٦ يناير ١٥١٧ م، اضمحلت مكانتها السياسية وانهار نظام الحكم المملوكي الذي كان قائما فيها ، ووضع العثمانيون نظاما لحكم مصر، كان يتألف من عدة هيئات (الوالى - الديوان - الحامية - المماليك) ، وهى هيئات متداخلة بعضها فى بعض ، وقد ترتب على مشاركة هذه الهيئات فى إدارة البلاد ، قيام صراع فيما بينها للسيطرة على شئون الحكم من ناحية ، وللحفاظ على الامتيازات الخاصة بكل هيئة من الناحية الأخرى .

فن الناحية الأولى، نجد أن الديوان والحامية والمماليك هذه الهيئات التي كان الهدف من إيجادها مساعدة الوالى فى حكم البلاد، أصبحت تنازعه السلطة بل وأضعفت من نفوذه ، وعملت فى كثير من الأحيان على عزله ومحاسبته على ما كسبت يدها فى نهاية مدة حكمه ، كما دخلت هذه الهيئات فى صراع مستمر فيما بينها شغلتها فى معظم الأحيان عن تدبير أمور الحكم فى البلاد ، هذا إلى جانب أن كل هيئة شغلت بفرض امتيازات مادية لها على السكان مستغلة فى ذلك نفوذها وقوتها . وكان من بين هذه الامتيازات الضرائب

غير المشروعة التي فرضها جند السباهية على سكان الريف^(١) وبالغوا في فرضها وتحصيلها بالقوة ، وكانت محاولات الباشوات لإلغاء هذه الضرائب الظالمة ، السبب المباشر في ثورات هؤلاء الجند ضد الباشوات منذ سنة ١٥٩٧-١٥٨٩م، وحتى القضاء على هذه الثورات نهائياً سنة ١٧٠١-١٦٠٩م على يد الوالي محمد باشا ويمكن توضيح ذلك فيما يلي :

كان جند السباهية الذين يقيمون في الريف المصري ، يتكفون أساساً من ثلاثة فرق من فرق الحامية العثمانية في مصر ، (الجليان ، التفنكجيان ، الشراكسة) . وكان منوطاً هؤلاء الجند حفظ الأمن في الريف ، ومساعدة رجال الإدارة في جمع الأموال الأميرية المقررة على القرى ، وصدّ هجمات العربان من الإغارة عليها ، ومراقبة زراعة الأراضي ، والمحافظة على مياه الري وحسن توزيعها . ولكن جند السباهية استغلوا نفوذهم ، والوظائف المخولة لهم في الريف ، وفرضوا لأنفسهم على أهل القرى ضرائب غير مشروعة . وكان أبرز هذه الضرائب في القرن السادس عشر ، ضريبة أسموها «الطلبة» ، وهي مبالغ من المال . كان هؤلاء الجند يطلبون من كاشف الأقليم — ليعطوها صفة شرعية — أن يكتبها لهم على ناحية من النواحي . أو على شخص ، أو مجموعة من الأشخاص . بحجج وهمية ، وبالمبالغ الجند في مقدار هذه الضريبة التي كانت تختلف من حالة إلى حالة حسب أهـوائهم ، حتى زاد مقدارها على مقدار الأموال الأميرية في كثير من الحالات ، وقد حدث على

(١) كانت الضرائب التي فرضها العثمانيون على السكان تعرف باسم « المال الميري » ، ثم زيدت هذه الضرائب بضريبة أخرى في القرن السابع عشر ، عرفت باسم « المضاف » ، ولكن رجال الإدارة والجند فرضوا لأنفسهم على السكان ، ضرائب وعادات أخرى أصبح يطلق على مجموعها اسم « البراني » كانت قيمتها المادية في معظم الأحوال تفوق قيمة « المال الميري » .

انظر : دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن « الريف المصري في القرن الثامن عشر »

ص ١٠٠-١٢٣ .

سبيل المثال أن قرية بالمنوفية كانت لإقطاع محمد بن أبي السرور البكرى. كانت الأموال الأميرية المقررة عليها مائة ألف نصف فضة ، ولكن غرمت في الطلبة ضدهم هـ هذا المبلغ^(١) وصار جند السباهية يفرضون الطلبة ، على الفلاحين والمزارعين ، في ساير الأقاليم ، وعلى العمالين والبطالين وصاروا يضاعفونها في كل سنة من السنين ، إلى أن زادت على أموال المقاطعات ، ، وبالغوا في فرضها وهددوا الكشاف كي يكتبوا لهم الأوراق بها ، إلى أن وصل الأمر أن يكتب لهم د في كل شهر طلبية ، ولم يزل يعظم أمرها إلى أن صار يكتب للناحية الواحدة في اليوم ثلاث طلب أو خمس فخرت البلاد لذلك ،^(٢) ولت الأمر اقتصر على ذلك بل إن هؤلاء الجند كما تذكر المصادر المعاصرة ارتكبوا مع سكان الريف كثير من المظالم وساءت أحول الفلاحين نتيجة لأعمال جند السباهية التي لم يستطع الفلاحون لها دفعا . ولم يكن هناك أمامهم من سبيل سوى الشكوى لسلطان باشا جديد حين قدومه إلى مصر ، عله يستطيع أن يضع حدا لسوء تصرفات جند السباهية وتعتسفهم معهم .

حاول الباشوات إلغاء الطلبة ، التي كانت سبباً في خراب البلاد وتدهور أحوال أهل الريف وكانت محاولة الباشوات هذه سبباً في تمرد جند السباهية ضدهم ، لأن هؤلاء الجند اعتبروا أن إلغاء الطلبة ، إلغاء لأهم امتياز اقتصادي لهم ، أصبحوا يعتبرونه حقاً مقرراً لهم على سكان الريف ، وكانت أولى ثورات جند السباهية في سبيل حفاظهم على هذا الامتياز في عهد الوالي أويس باشا (١٢ جماد الثاني ٩٩٤ - ٢ شوال ٩٩٧ هـ) ، فحين حاول

(١) محمد بن أبي السرور البكرى ، الكواكب السائرة ، ٢٧ أ ، التحفة البهية ٥٥٥ ب ، ١٥٦ .

(٢) محمد بن أبي السرور البكرى ، كشف السدرة في رضع الطلبة ، ورقة ١٥ .

هذا الوالى أن يقف فى وجه أعمال هؤلاء الجند ، ويلبى الطلبة، هجموا على

قصره بالقلعة فى (٢ شوال ٩٩٧ هـ) ونهبوا موجوداته، وأخذوا ابنه
١٤ أغسطس ١٥٨٩ م

رهينة حتى ينزل الوالى على إرادتهم ويصدر أوامره بالسماح لهم بأخذ الطلبة،
ولم يستطع قاضى القضاة والدفتردار بالنصح قارة ، وبالتحذير تارة أخرى
لرجاعهم عن غيبيهم ، فاضطر أويس باشا - تحت تهديد هؤلاء الجند
وارتكابهم كثيرا من أعمال السلب والنهب فى القاهرة - إلى إصدار أوامره
بالسماح لهم بأخذ الطلبة، حسب أهوائهم (١) .

كان هذا الانتصار على الوالى سبباً فى ازدياد تعسف الجند مع الأهالى
من جانب . ومع الباشوات من جانب آخر . وتكرر حصارهم للقاهرة
والهجوم عليها ، وارتكابهم لأعمال السلب والقتل فيها ووصلت جرأتهم حددها

١٤ ذى الحجة ١٠١٢ هـ) وتمسكونا من
١٤ مايو ١٦٠٤ م

١ جمادى الأولى ١٠١٣ هـ) وطافوا
٢٥ سبتمبر ١٦٠٤ م

برأسيهما فى شوارع القاهرة . وكان ذلك جراء اهتمام هذا الباشا بأمر إزالة
الطلبة ، والقضاء على الجند المتمردين ، فأكد جند السباهية بهذا التصرف
قدرتهم على تحدى كل من تسول له نفسه الوقوف فى وجه الامتيازات التى
فرضوها لأنفسهم على السكان .

(١) دكتور عبد الكريم رافق ، بلاد الشام ومصر من الفتح العثمانى إلى حملة
نابليون بونابرت ، ص ٢٤١ - ٢٤٢ ، ثورات العساكر فى القاهرة ، فى الربع الأخير
من القرن السادس عشر والعقد الأول من القرن السابع عشر ومغزاها ، طبع دمشق ،
مرس ٣ - ٤ .

وجاء محمد باشا الكرجي ($\frac{١٠١٣ - \text{صفر } ١٠١٤}{٢٨ \text{ نوفمبر } ١٦٠٤ - \text{يونية } ١٦٠٥ \text{ م}}$)

وكان مكلفاً من قبل السلطان بمنع الطلبة ومعاينة قتلة إبراهيم باشا . واستعمل هذا الباشا القسوة مع جند السباهية ورغم قسوته معهم ، فإنهم لم يذنبوا عما نهوا عنه ، وبغوا وعتوا أكثر من الأول ، ولم يستطع الباشوات الذين أتوا بعد محمد باشا الكرجي ، القضاء على بغى هذه الطائفة حتى وصلت أخبار أفعالهم الشنيعة . وما يعاينيه الرعايا منهم إلى السلطان أحمد بن محمد بن

مراد ($\frac{١٠١٢ - ١٠٢٦}{١٦٠٣ \text{ م} - ١٦١٧ \text{ م}}$) ، فكلف محمد باشا ($\frac{٧ \text{ صفر } ١٠١٦ - ٣ \text{ يونيو } ١٦٠٧}{١٦٠٣ \text{ م} - ١٦١٧ \text{ م}}$)

١٠٢٠ هـ ($\frac{١٦١١ \text{ م} - ١٦١٢ \text{ م}}$) - الذي تنعته المصادر المعاصرة ، بـ «معمّر مصر» ، ودمبطل

الطلبة ، - برفع الطلبة وإبطالها بالكلية ، وقد تسلم هذا الباشا من الأهالي وهو في طريقه من الإسكندرية إلى القاهرة كثيراً من الشكاوى ضد مظالم جند السباهية والطلب التي يفرضونها على الأهالي ، بدون وجه حق ، طالبين منه أن ينقذهم من هذه المظالم (١) . وتنفيذا لما كان مكلفاً به الباشا من السلطان ، فإنه ابتدأ عمله بتجريد ثلاثة عشر منجقاً من رتبهم ورواتبهم ونفيهم من القاهرة ، واتفق مع الديوان على أمرين :

١ - التفتيش عن قتلة إبراهيم باشا .

٢ - إزالة الطلب وإيقافها فوراً .

وتحقيقاً لسياسته فإنه بدأ عمله ، بالاشتراط على الكشاف

(١) محمد بن أبي السرور البكري ، كشف الكربة في رفع الطلبة وجه ورقة ٣٨ ، دكتور عبد الكريم رافق ، ثورات الماسكر في القاهرة ، ص ١١ - ١٢ ، بلاد الشام ومصر ، ص ٢٤٩ .

والأمناء (١) ، عدم كتابة طلب للجند مطلقا ، وهددهم بأن من يكتب منهم طلبية لأحد من الجند يكون القفطان الذى يلبسه كنفه ، وأمر برفع المظالم من القرى والنواحي . وأبرز لأمراء الجند والسناجق ، وجميع العسكر خطا همايونيا متضمننا رفع الطلبة ، وأن كل من سعى فى أخذها أو تسبب فى طلبها بحيلة من الحيل ، أو سبب من الأسباب يكون ساقطا خرجا من ديوان الجند ، بعد التنكيل الشديد به ، والتنكيل والتحقيق ، فأقسم له الجند جميعهم ، يمينا واحدا وأشهدوا على أنفسهم أنهم من الآن لا يمشون فى طريق شيء يقال له الطلبة ، ولا يطلبونها ولا يتفوهون بذلك ولا يذكرونه على ألسنتهم ، ولا يقرؤن عليها . وكل من عاند وخالف يكونوا عليه . ويقبضون عليه ، (٢) .

وتنفيدا لسياسة الحزم التى اتبعها محمد باشا ، أرسلت الأوامر التى تقضى بإيقاف الطالب ومعاينة من يتجرأ على طلبها . إلى الإدارات المحلية فى الريف ، وألقى القبض على بعض الكشاف المخالفين ، مثل كاشف المنوفية ، وكاشف الغربية وكاشف البحيرة . وتم قتلهم ونعين آخرين فى مناصبهم . وأخذ العهد عليهم بالتزام الدقة والحزم فى تنفيذ جميع الأوامر الصادرة برفع المظالم الواقعة من جند السباهة على سكان الريف . ولكن سياسة الحزم هذه التى اتبعها محمد باشا لم تلق قبولا لدى طائفة من جند السباهة . فتمردوا ضدها ، وتصدى بعضهم لكشاف الغربية الجديد ، وهددوه بالقتل ، فهرب وغرق فى النيل أثناء هربه (٣) فكان هذا الأمر من الأسباب التى زادت من تصميم

(١) الأمناء ، مفردا أمين ، وهو موظف حكوى . كان يقوم بحماية المال الميرى قبل تطبيق نظام الالتزام ، فى جباية الأموال المقررة على الأراضى الزراعية .

(٢) محمد بن ابن السرور البكرى ، كشف الكربة ظهر ورقة ٤١ ، ووجهه ورقة ٤٢ .

(٣) نفسه ، ورقة ٢ .

محمد باشا على مقاتلة المتمردين . الذين كانوا بدورهم قد أعدوا العدة — رغم
تمهدهم السابق بإطاعة الأوامر — لإظهار تمردهم وإعلان عصيانهم لأوامر
الباشا — التي رأوا فيها قضاء على امتيازاتهم — وتأكيدا لإعلان تمردهم ،
أواخر شوال وأوائل
فانهم اجتمعوا في مختلف الأقاليم في (أواخر يناير ، وأوائل

ذى القعدة ١٠١٧ هـ) في مقام السيد أحمد البدوي بطنطا ، وتحالفوا على
فبراير ١٦٠٩ م

عدم رفع الطلبة ، وعلى قتل الأمير مصطفى كينخيا الجاويشية وغيره من
السناجق المؤيدين لسياسة الباشا ضدهم ، وإمعانا في تحديدهم لسياسة الباشا
والدولة ، فانهم اختاروا من بينهم رئيسا عينوه سلطانا عليهم ، وقسموا مصر
إلى أقسام فيما بينهم ، وتنفيذ البرناج عصيانهم . فان جموعهم انجبت صوب
القاهرة تبغى محاصرتها وإجبار الباشا على الاعتراف بشرعية مطالبهم ، وفي
أثناء سيرهم تجاه القاهرة روعوا أهل الريف . وعانت جميع قرى الدلتا
الكثير من مظلالمهم .

علم محمد باشا بتحريك هؤلاء الثائرين ، فجمع العناصر الموالية له من سناجق
وجاويشية ومتفرقة وانكشارية وعزب ، وحسبهم على نصرة السلطان ضد
أعدائه الخارجين على أوامره ، وعين مصطفى بك كينخيا الجاويشية قائدا على
هذه العناصر . ومنحه رتبة السنجقية بهذه المناسبة ، وعمل محمد باشا كذلك على
الاستفادة من قوة العربان ، ضد هؤلاء الجند المتمردين ، فاستعان ببعض
قبائل البدو . ولكي يكسب قواته قوة على قوات المتمردين فانه زودها بست
١٠ ذى القعدة ١٠١٧ هـ

مدافع والتقت قوات الباشا مع المتمردين يوم (١٥ فبراير ١٦٠٩ م

في الخانقاه (الخانكة) وتمكنت من محاصرتهم وإجبارهم على

السلام . وتسليم سلاطنتهم المهيمنين من طرفهم ، وسبعة وسبعين من رؤسائهم فأمر
الباشا بقتلهم ، وجرّد الباقيين من سلاحهم ، وتمعّقت القوات الحكومية فلول
المتمردين وقتل كل من تظفر به منهم ، واتضح بعد المعركة أن هناك عناصر
ليست من الجند اندست بين المتمردين ، إثارة للشغب . وبقصد المنفعة
الشخصية . وبناء على نصيحة قاضى العسكر أمر الباشا بنفى من بقى من الجند
المتمردين إلى اليمن ، وبذلك تمكن محمد باشا من القضاء على هذه الفتنة .
ولإبطال اعتداءات جند السباهية على سكان الريف ، ورفع عن كاهلهم أعباء
الطليعة ، التى عانوا الكثير من جرائها ، فارتاحت نفوس أهل الريف .
وهذأت أحوالهم ، واعتبر المعاصرون هذا الانتصار على جند السباهية
الفتح الثانى فى الدولة الشريفة العثمانية ، ولقب محمد باشا باللقاب « معمر
مصر ، و « مبطل الطليعة »^(١) . وبدأ الكتاب والشعراء المعاصرون . كل يدلى
بدلوه فى وصف هذا الانتصار ، وصفات هذا الباشا القوى الذى خلص مصر
من أعمال هذه الطغمة الفاسدة المفسدة ، ووجد محمد بن أبى السرور البكرى
أن أعمال هؤلاء الكتاب والشعراء رغم كثرتها لم تؤد الغرض المنشود منها
فى وصف هذا الانتصار والتأريخ لهذا الحدث العظيم من أحداث تاريخ مصر .
لذا شرع فى وضع مؤلفه ، كشف الكربة فى رفع الطليعة ، مبيّناً الأسباب التى
دفعته إلى ذلك بقوله « فهذا تأليف منيف ، ومختصر لطيف ، اقتضى الوقت

(١) محمد بن أبى السرور البكرى ، كشف الكربة ، أوراق ٦٤ — ٦٦ ،
التحفة البهية ، ورقة ٥٥ أ ، الكواكب السائرة ، ورقة ٢٦ ب ، النزعة الزهية ،
ورقة (٣٧) .

— دكتور عبد الكريم رافق ، بلاد الشام ومصر ، ص ٢٥١ ؛ ثورات العساكر
فى القاهرة مرص ١٢ — ١٣ .

— Shaw, J. Stanford, The financial and Administrative organization and development of ottoman Egypt, princeton 1956.

— Holt, P. M. Egypt and The Fertile crescent 1515 — 1922
apolitical history P 76.

إبرازه على وفق المراد ، ومنهج الصحة والسداد ، فيما وقع في هذا العام ، الذي هو عام سبعة عشر وألف من هجرة النبي عليه الصلاة والسلام ، من الجند الأشقياء الليام ، والأهوال والضرر العام ، للخاص والعام ، وقد طبع غالب الأذكياء بالديار المصرية بتعميق هذه القضية ، بمؤلفات ثرية ، وتواريخ شعرية ، فأتعبوا أنفسهم من غير فائدة ، ولم يبلغوا الغرض ، ولم يظهروا لبدايتهم عايده ، واقتضى الحال وضعه على هذا المنوال ، وإن لم أكن من فرسان ذلك الميدان ، فإن الحق سبحانه وتعالى قد ألهم وأعان ولم أقصد بذلك إلا العظة والاعتبار . وانتشار تلك الأخبار . والاطلاع على حوادث الدهر الدوار ، واختلاف مطاوى الليل والنهار ، ومعرفة أحوال بني النوع ، بما يوقظ الأذهان ، ويشحذ الأفكار ، ويزيد بصيرة أولى البصائر والاستبصار ... وسميته « كشف السكرية في رفع الطلبة » وخدعت بذلك حضرة مولانا وسيدنا الوزير المعظم والدستور المكرم ، والمشير المفخم ، حضرة مولانا محمد باشا^(١) .

* * *

ثانياً : التعريف بالخطوطة ومؤلفها وموقفه من الأحداث التي سجلها

كمعاصرها :

خطوطة « كشف السكرية في رفع الطلبة » تأليف محمد بن أبي السرور

(١) محمد بن أبي السرور البكري ، كشف السكرية ، ورقة ٣ .

— من الذين كتبوا عن الطلبة ، خلاف من ذكرهم المؤلف في هذا النص . محمد البرلسي السعدى ناسخ الخطوطة الذي ولي منصب القضاء بالاسكندرية ، ودمايط ، ورشيد ، حيث وضع مؤلفاً عن « الطلبة » يكاد يكون نصه متقارباً مع هذا النص الذي ننشره اليوم . ومؤلف محمد البرلسي يحمل عنوان « بلوغ الأرب برفع الطالب » وتوجد نسخة منه على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية . التابع للجامعة العربية برقم ٩٣٧ ، ونقوم حالياً بأعداد دراسة عن هذه الخطوطة ، ونشر نصها قريباً .

البكرى . تصور جانباً من تاريخ مصر السيامى والاقتصادى والاجتماعى
فى الفترة الممتدة من ($\frac{٩٩٧ - ١٠١٧ هـ}{١٥٨٩ - ١٦٠٩ م}$) حين تمكن محمد باشا

$\frac{١٠١٦ - ١٠٢٠ هـ}{١٦٠٧ - ١٦١١ م}$ من القضاء على ثورة جند السباهية فى

٩ ذى القعدة ١٠١٧ هـ (ورغم إشارة المؤلف إلى مؤلفه القيم هذا ، فى
١٤ فبراير ١٦٠٩ م)
مؤلفاته الأخرى ، فإنه كان يعتبر فى حكم المفقود^(١) ، وحقيقة الأمر أن

(١) أشار الدكتور محمد أحمد أنيس فى بحثه عن « مدرسة التاريخ المصرى فى العصر
العثمانى » طبع معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة سنة ١٩٦٢ م ، ص ٢٣ ، وفى البحث
الذى تقدم به إلى ندوة ألفية ، القاهرة سنة ١٩٦٩ م ، وفى البحث الذى تقدم به إلى ندوة
« عبد الرحمن الجبرتي وعصره » ، التى نظمتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بالاشتراك
مع المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة سنة ١٩٧٤ تحت عنوان « الجبرتي
ومكانته فى مدرسة التاريخ المصرى فى العصر العثمانى » ص ١٢ أشار إلى هذه الأبحاث ، بأن
مؤلف « كشف الكربة فى رزم الطلبة » غير موجود ، ولم يستطع أن يعثر عليه وذكره فى كل
الأبحاث باسم محرف هو « تفريج الكربة فى رزم الطلبة » .

— وأشار الدكتور عبد الكريم رافقى فى مؤلفه القيم عن « بلاد الشام ومصر من
الفتح العثمانى إلى حملة نابليون بونابرت ١٥١٦ — ١٧٩٨ م) (الطبعة الثانية . دمشق
١٩٦٨ ، ص ٢٥٢ . بأن هذا المؤلف « لا يعرف مكان وجوده الآن » .

— وذكر الدكتور عبد العزيز محمد الشناوى فى بحثه الذى تقدم به إلى ندوة ألفية
القاهرة سنة ١٩٦٩ م ، بعنوان « دور الأزهر فى الحفاظ على الطابع العربى لمصر لبنان الحسنى
العثمانى » ، هامش ص ٣٩ أن مؤلف ابن أبى السرور موجود فى مصر ، وأن اسمه « كشف
الكربة فى تفريج الفمة » . ولكن الدكتور الشناوى لم يذكر مكان وجوده ، وأخطأ
فى اسم الكتاب كما هو واضح ، كما أنه اعتبر تاريخ الانتهاء من نسخ المخطوطة سنة ١٠٢٢ هـ -
١٦١٣ م ، هو النهاية التى تؤرخ لها المخطوطة ، والحقيقة أن المخطوطة تؤرخ لفترة من ٩٩٠ هـ
١٥٨٢ م إلى ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ م وهى نهاية مدة حكم محمد باشا .

وهكذا يتضح مما ذكره كل من السادة الأساقفة السابقة أساقفهم ، أن هذا البحث ظل
غير معروف للباحثين . ولم يعلم عليه أحد ، حتى وفقنا الله بمساعدة الصديق « عبد الجواد
صابر اسماعيل » الذى يقوم حالياً بأعداد رسالة دكتوراه عن « مجتمع علماء الأزهر لبنان
الحسنى العثمانى » بقسم التاريخ بكلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، فى العثور على هذا المؤلف القيم =

هذا المؤلف يوجد في مكتبة رفاعة رافع الطمطاوى بسوهاج، تحت رقم ٨٣٠ تاريخ ، حيث كتب على غلافه الذى نسخ بخط البرلسى الرفاعى الشافعى مانصه « كتاب كشف الكربة في رفع الطلبة ، تأليف الشيخ الكاتب الكامل الفاضل الشيخ محمد البكرى ، كما توجد نسخة أخرى لهذه المخطوطة ، مصورة عن النسخة السابقة ، بمعهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية تحت رقم ٧٦٤ تاريخ ، وقد أخطأ واضع فهرس المخطوطات في نسبة تأليف هذه المخطوطة إلى ناسخها محمد البرلسى الرفاعى الشافعى . رغم وجود النص السابق على الصفحة الأولى من الميكرو فلم .

والمخطوطة تقع في أربع وثمانين (٨٤) ورقة وكل ورقة مكونة من وجه وظهر ، وكل وجه يحتوي على (١٠) أسطر ، وكل سطر يحتوي (١١) كلمة . وقد كتبت بخط النسخ الواضح الجميل وكتب على رأس كل عشر ورقات كلمة « جزء » ، ولذا نجد المخطوطة قسمت إلى تسعة أجزاء ، حيث يوجد على رأس الورقة (٨١) اسم « الجزء التاسع » ، ومن دراستنا للمخطوطة وأحداثها . وجدنا أن هذا التقسيم غير قائم على أساس ، فهو لم يرقم على فواصل ، أو وقفات محددة في مرد الأحداث ، والتفسير الصحيح لهذا التقسيم أن الناسخ كان ينسخ كل عشر ورقات في كراسة ، ويطلق عليها « جزء » ، وهكذا دواليك .

ومن المؤكد أن النسخة المحفوظة بمكتبة سوهاج أقدم نسخة منقولة ومقابلة على النص الذى كان محفوظاً بخرانة أحمد بن زين العابدين بن محمد

= وبعد أن اعتمدت على مؤلف « كشف الكربة في رفع الطلبة » في دراستي عن « الريف المصرى في القرون الثامن عشر » التي حصلت بها على درجة الدكتوراة في التاريخ الحديث ، من جامعة عين شمس ، والتي قامت جامعة عين شمس بطبعها على نفقتها بناء على توصية لجنة المناقشة ، بعد ذلك أريت تعميماً للفائدة من مؤلف ابن أبى السرور البكرى ، العمل على التعريف به ونشره ، وشجنى أستاذى الدكتور أحمد عزت عبد الكريم على هذا العمل الذى تقدمه اليوم للباحثين اللانفاد به .

البكرى ، حفيد المؤلف حيث نجد في نهاية المخطوطة النص التالى : بلغ مقابلة
وتصحيحاً بمزيد الاعناء ، وتم ذلك يوم الخميس بعد العصر فى عاشر
ربيع الآخر سنة ١٠٢٢ هـ ، فله الحمد على ذلك ، أى أن هذه
النسخة كتبت بعد التأليف بخمس سنوات ، فلقد كتبها المؤلف
سنة ١٠١٧ هـ - ١٦٠٩ م ، كما نص على ذلك فى وجه الورقة الثالثة
من المخطوطة .

والمخطوطة بعد المقدمة التى أشار فيها المؤلف إلى السبب الذى دعاه
إلى وضعه هذا المؤلف تعالج الموضوعات التالية :

١ - التعريف بالطلبة وماهيتهم .

٢ - باشوات مصر من سنة ٩٩٠ هـ - ١٥٨٢ م إلى سنة ١٠٢٠ هـ -
١٦١١ م . وموقف كل منهم من الجند ومشكلة الطلبة .

٣ - ثورات جند السباهية ضد هؤلاء الباشوات .

٤ - من آخر ظهور ورقة (٦٦) يبدأ المؤلف فى ذكر الروايات
والأشعار التى سجلها من أفواه الثقات من الناس ، عن الأحداث التى حل بها .

والمؤلف خلال كتابته لتاريخ هذه الأحداث ، يستطرد ، فى بعض
المواضع لسرد بعض العظات والأحاديث والأمثلة التى تطابق ، واقع الحال ،
لذا اضطررنا لحذف هذه الأجزاء من المخطوطة ، لخروجها عن الموضوع
الرئيسى ، وليستكمل تسلسل حوادث الموضوع الذى تعالجه . وقد أشير إلى
موضوع كل جزء محذوف فى موضعه .

وأسلوب المخطوطة متناسق وغير ركيك ، والمؤلف يسير فيه على طريقة
التراجم فهو بعد المقدمة يذكر وصول الباشا ، وأهم صفاته والأحداث التى
وقعت فى عصره ، كما سبقت الإشارة .

هو محمد بن زين العابدين بن محمد بن أبي الحسن بن أبي السرور البكرى،
توفى باتفاق المصادر في ليلة الجمعة (١٢ ربيع الأول ١٠٨٧ هـ / ٢٥ مايو ١٦٧٦ م)، عاش
حياة علمية حافلة، فقد اشتغل بعلوم الحديث والتفسير، وعلوم القول،
وأصول التصوف، والتاريخ، واشتغل بالتدريس في الجامع الأزهر، وله
مؤلفات عديدة. تعالج تاريخ مصر منذ بداية الحكم العثماني وحتى الفترة التي
عاصرها (٢)، ولما تقدمت به السن اعتزل التدريس في الجامع الأزهر،

(١) انظر بخصوص ترجمة محمد بن السرور البكرى المصادر التالية :

(أ) محمد توفيق البكرى، بيت الصديق . القاهرة ١٩٠٥، ص ٧٣ - ٨١ .
(ب) محمد المحبى، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر، دار صادر بيروت،
ج ٣، ص ٤٦٥ - ٤٦٨ .

(ج) على مبارك «المخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة
والشبهية»، ج ٣، طبع المطبعة الأميرية ١٣٠٥ م ص ١٢٧ - ١٢٩ .

(٢) مؤلفات محمد بن أبي السرور البكرى هي :

(أ) السكواكب السائرة في أخبار مصر القاهرة، صورة بمعهد المخطوطات العربية
رقم ٤١٩ تاريخ .

(ب) اللطائف الربانية على المنح الرحمانية في الدولة العثمانية . دار الكتب، تحت
رقم (٨٠ م) .

(ج) المنح الرحمانية في الدولة العثمانية، دار الكتب رقم ١٩٢٦ تاريخ .

(د) النزعة الزهية في ذكر ولاية مصر والقاهرة المعزية، دار الكتب، رقم
٢٢٦٦ تاريخ .

(هـ) الروضة المأفوسة في أخبار مصر المحروسة، دار الكتب المصرية، رقم
٢٢٦١ تاريخ .

انظر بخصوص هذه المؤلفات : دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن، الريف المصرى
في القرن الثامن عشر، ص ٣٠٤ - ٣٠٥، دكتورة ليلي عبد اللطيف «ابن أبي السرور
البكرى عصره ومؤلفاته» بحث منشور ضمن الكتاب التذكارى لسميث الدراسات العليا
للتاريخ الحديث، طبع جامعة عين شمس ١٩٧٦، ص ٢٣٦ - ٢٥٤ .

واشتغل بالإفادة في منزله ، وآلت إليه رئاسة البيت البكرى . وحج إلى بيت الله الحرام في عام ١٠٧١ هـ - ١٦٦٠ . وكان مسموع الكلمة عند العامة والخاصة وشفاعته مقبولة عند الكبراء والوزراء .

أما من حيث وضعه المادى ، فقد كان محمد بن أبى السرور ثريا واسع الثراء . وكانت له بعض القرى كإقطاع خاص به ، وقد ذكر هذه الحقيقة في معظم مؤلفاته في معرض حديثه عن أعمال جند السباهية في الريف ، حيث ذكر أنه ، وأهل قرية كانت تابعة له ، عانوا الكثير من أعمال هؤلاء الجند ، ولاغربة في ذلك فابن أبى السرور ، من أمرة لها مكاتبا الدينية المرموقة في المجتمع المصرى ، بما كان سبباً في ثراء هذه الأسرة ، ورخاء حالتها الاقتصادية ، ولاغرو فقد سجلت دفاتر الالتزام ، ووثائق المحكمة الشرعية . أسماء الكثير من أفراد هذه الأسرة كملتزمين . منذ بدأ تطبيق النظام في مصر سنة ١٠٦٩ - ١٦٥٨ هـ م^(١) .

ونعلم من مؤلفات محمد بن أبى السرور أنه كان يعيش عيشة عليّة القوم ، فقد ذكر الكثير من القصص التى تدل على ذلك . وذكر أن والده كان يمتلك بيتاً على بركة الرطل حيث كانت تقام بيوت الأثرياء ، وكبار موظفى الإدارة ، فى ذلك الوقت :

عاش محمد بن أبى السرور فترة بدأت فيها أمور الحكم العثمانى ، فى مصر تضطرب ، نتيجة لازدياد نفوذ الجند على نفوذ بعض الباشوات . وتعسف هؤلاء الجند مع الأهالى ، وقد رصد هذه الأحوال فى مؤلفاته ، ورغم مبالغته فى مؤلفاته الأخرى ، فإنه فى كشف الكربة فى رفع الطلبة ، كان صادقا إلى درجة كبيرة فى تصويره لأعمال جند السباهية ، وقريباً من الواقع .

* * *

(١) دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ، المصدر السابق ، ص ٧٤ .

هذه لمحة موجزة عن الظروف والأحداث التي مر بها تاريخ مصر وشعبها في الربع الأخير من القرن السادس عشر . وبداية القرن السابع عشر ، توضح بصورة موجزة كيف أصبح أهل البلاد يعانون من ظلم الجند ، ومن قسوة رجال الحكم العثماني ، رصدها المؤلف في مؤلفه هذا الذي ظل مجهولاً حتى شامت الأقدار له أن يرى النور ، وخير ما تقدمه الآن النص الذي دوّنّه المؤلف .

ففيه صورة واضحة لأحداث تاريخ مصر في تلك الفترة وانعكاساتها على واقع المجتمع المصري في مختلف نواحيه الاقتصادية ، والاجتماعية السياسية .